18me année No. 861

Le Caire - 2 - 1 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٢ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

فى ذكرى مولد الرسول

على جبل النور

قضى الصادق الأمين محمد بن عبد الله خمسا وعشرين سنة فى شعاب مكة وبطاحها يتيما فقيرا ثم راعيا صغيراً ، ثم تاجراً أجيرا ، فلم ينعم بدفء الفراش كمن له أم، ولم يجلس أمام المعلم كمن له مال ؛ وإنما تولى الله تأديبه وتهذيبه ، لأنه أراد لنوره وبرهانه أن يشرقا فى هذا المنزل المتواضع ، ولمجده وسلطانه أن يظهرا في هذا اليتيم الوادع ، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمي الحيي ، لتكون آيته أبهر للعيون ، ودعوته أبرع للعقول ، وكلمته أعلق بالأفئدة ، فكمله بالخلق العظيم والحياء الوقور والصبر المطمئن واللسان الصادق والذمة الوثيقة والقلب الشجاع ، ثم طهره من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل الربا ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشهد اللهو ، ولم ينعن وجهه لصنم .

ثم شاء الله لمصطفاه أن ينعم بسكينة القلب ورفاهة العيش خمس عشرة سنة أخرى بعد ذلك فى ظلال زوجه الغنية الوفية خديجة بنت خويلد استمداداً لأعباء الرسالة ومكاره الدعوة ومجاهدة الشرك . وكان النبي الكريم فى هذه الفترة الهادئة السعيدة يؤثر الوحدة ويطيل السكوت ويديم التفكير : يفكر في خلق السموات والأرض ، وينظر فى أمر قريش والعرب ، ويسأل نفسه : من الذى خلق الموت والحياة ، وجعل الظلام والنور ، ودبر أمر هذه العوالم ، ونظم سير هذه الكواكب ؟ فتجيبه : إله آخر غير اللات والعزّى ومناة ، لا يحل فى بشر ، ولا يتمثل فى حجر ، ولا يتحيز فى مكان . فيفكر محمد ويطيل التفكير ، ويبحث النبي ويعمق البحث ، ويتعبد المتحنث ويكثر التعبد . فاذا جاء شهر رمضان من كل سنة، هجر المهاد اللين ، وفارق الزوجة الحنون ، وتزود الزاد اليسير، ثم صعد إلى جبل حراء على ١٥٠٠ متر من شمال مكة، ليستعين بالصوم والاعتكاف على استجلاء الحقيقة . وهنالك على قمة الجبل المخروطى الشاهق ، وفى صمته المهيم الرائع ، وفى غيابة الفضاء الرهيب ، يفكر فى الملكوت الدائم ، ويسبح للجلال القائم ، ويفنى فى الوجود المطلق . فاذا جنه الليل أرسل نظره وفكره فى أشعة القمر أو فى أضواء النجوم ، يستطلع المجهول ، ويستجلي الغامض ، ويرقب انبثاق النور عن

الخالق ، وانكشاف الستور عن الحق . حتى إذا أجهده التفكير وأرهقته الحيرة، أوى إلى الغار الوحش النابي فيستاق على صخره سرو يمات ثم يستيقظ قبل أن تغور النجوم، فيتعبد ويتجه بروحه اللطيف الصافي إلى الملأ الأعلى ، حتى تهيأ بطول الرياضة والعبادة والخلوة إلى تبليغ الرسالة ، فرأى في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان من السنة الحادية والأربعين من مولده صلوات الله عليه وهو نائم في الغار أن رجلا جاءه بنمط من ديباج فيه كتاب وقال له : اقرأ . فقال مأخوذاً من روعة مارأى : ما أقرأ . فأحس كأن الرجل يخنقه ثم يرسله ويقول له : اقرأ . فقال : ما أقرأ . فعاد اليه بمثل ماصنع وقال له اقرأ . فقال له : ماذا أقرأ؟ خشية أن يعود إليه بمثل مافعل . فقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق؛ خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ؛ الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم » فقرأها وانصرف الرجل عنه وقد نقشت في لوح قلبه .

وما لبث أن هب من نومه فزعا مذعوراً يدير بصره في الأرض ، ويجيل طرفه في السماء . ثم تمثل له في اليقظة ما رآه في المنام فأدركه الخوف على نفسه فانطلق مسرعا إلى السكن الذى يسكن إليه، و إلى الصدر الذى يحنو عليه ،فتلقته خديجة بالنظر المشفق والقلب المعطوف ، فقال لها وهو ينتفض كأن به مساً من الجن . زملونى زملونى ، حتى إذا ذهب عنه الروع وعاودته السكينة ، نظر إلى زوجه نظر اللائذ العائذ وقال لها . ياخديجة ، مالى ؟ وحدثها بالذى رأى ، فطمأنته وقالت له : « أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق »

وفتر الوحى مدة جزع لها محمد وقلقت خديجة ، ثم نزل على قلبه الروح الأمين بقول الله تعالى : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر » فقام بأعباء الرسالة والتبليغ ثلاث سنين في طى الخفاء ، حتى أوحى الله إليه : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، وأنذر عشيرتك الأقربين » فعالن بالدعوة قريشاً وسفه أحلامها وعاب أصنامها ، فكاشفوه بالعداء ، وقصدوه بالإيذاء ، وهو يتقى كيدهم بجنة صبره وعدة إيمانه ، ومن ورائه عمه أبو طالب يذود عنه ويحميه ، وزوجه السيدة خديجة تواسيه وتقويه . ولكن قريشاً أنذروا أبا طالب إن لم يكف ابن أخيه عما هو فيه ليقاتلنه هو وإياه حتى يهلك أحد الفريقين . فلما أعاد أبو طالب قولهم على سمع الرسول أجابه ذلك الجواب الذى خيّس أنف الشيطان، وغير وجه الزمان، وحسم الأمر بين التوحيد والشرك ، قال : والله ياعم ، لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » فلم يسع العم النبيل إلا أن يقول له : « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبداً »

عند ذلك تألبت على الرسول عناصر الشرك جماء ، فأصيب فى بدنه ،واتهم فى عقله ، وأوذى فى أهله ، وعذب في صحبه . ثم فجعه الموت فى عمه الشهم وزوجه المخلصة فى يومين متقاربين من السنة العاشرة للرسالة ، فاشتد عليهما حزنه ، وحرج بعدهما فى مكة مقامه ، فخرج منها إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الله فأغروا به صبيانهم وسفهاءهم فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه ، فلجأ إلى بستان يعصمه منهم ، وتفيأ شجرة من شجر الكرم وهو يدعو الله ويقول : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس . أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى »

ولما نبت قرار مكة على الغراس الإلهى انتوى الرسول الهجرة بالمسلمين إلى المدينة ، وقد أسلم فيها جماعة من الأوس والخزرج ، فأحس المشركون منه هذا العزم فائتمروا به ليقتلوه . ولكنه خرج ليلة اجتماعهم على قتله هو وصديقه أبو بكر إلى طيبة ، تكلؤهما عين لا تغفو وقوة لا يقام لها بسبيل . وهنالك تجلت فى الرسول مواهب الكمال الانسانى فحشد للخصومة قوى النفس وقوى الحس ، فجاهد بالصدق، وجالد بالصبر، وجادل بالمنطق وصاول بالرأى ، وأثّر باللسان ، وقهر باليد . وتلك مزيته الظاهرة على النبيين والرسل . فكل نبى وكل رسول إنما بان شأوه على قومه فى بعض المزايا ، إلا الرسول العربى فقد تم فيه ما نقص فى غيره من معجزات الرجولة ؛ كان رسولا فى الدين ، وعلما في البلاغة ، ودستوراً فى السياسة ، وإماما في التشريع ، وقائدا فى الحرب . وبهذه المواهب التى نشأت في محمد بالفطرة ، وانتقلت